

مَكَّة وحَمُورَانِي

الأستاذ عبد الحق فاضل

ندخل الموضوع رأساً ، دون مقدمات ..

يقول الباحثون .. المستشرقون .. ان اسم (مكة) مقتبس من الحبشية (مكورابا) : معبد ، أو هيكل ، لكنهم على عادتهم لم يتساءلوا من اين جاء اسم مكورابا هذا .

ثم لماذا لم يقولوا على العكس ان (مكورابا) مقتبس من (مكة) ؟ .. لا أدري . ذلك ديدنهم .. كلما شاهدوا كلمة مشتركة بين العربية وغيرها قالوا ان العربية هي الجهة المستفيدة . حتى (الخيمة) زعم اللغويون العرب وغيرهم ان اسمها هذا مستعار من الحبشية ، مع أن الخيمة من الزم لوازم البداوة — لا الحضارة — ان كانت ذريعة الحضارة هي التي تغريهم في كثير من الاحيان بهذا الظلم ، أو الجهل . كان في وسعهم ان يقولوا بكل سهولة ان العربي البدوي حين هاجر الى الحبشة لف لغته في خيمته

وحملها معه الى حيث أنشأ اللغات السامية الحبشية من جمزية وأمهرية وغيرهما .

ولقد كان المسلمون هم الذين تفتنوا الى هذه الصلة الاشتقاقية بين مكة ومكورابا لوجب عليهم أن يقولوا عكس المستشرقين بأسبقية مكة . فذلك تطبيقاً للآية : «ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة» .

لكن تعالوا ننظر ماذا قال المسلمون في تسمية مكة . تقول المعاجم .. كلا .. دعونا مما تقول المعاجم ، فاننا لم نجد فيها شيئاً ذا بال يخرج عما اورده ياقوت .

يلذكر ياقوت في معجم بلدانه آراء أشتى غير منسقة ثم يبدي من عند نفسه رأياً له ، ثم يعود الى سرد آراء الآخرين المتنوعة الشتى . ولنوردها مختصرة مع شيء من الترتيب كما يلي : وللقارئ ان يضحك من بعضها اذا هوسا .

«قال بعضهم : مكة هي بكة والميم بدل من الباء كما قبل ما هذا بضربة لازب ولازم» . . وهذا صحيح كالذي سيثبت لنا التأثيل فيما يأتي من بقية الحديث .

«وقيل انما سميت بكة لان الاقدام بُك بعضها بعضاً ... وقيل لازدحام الناس فيها» .

«وقال الشرقي القطامي : انما سميت بكة لان العرب في الجاهلية كانت تقول لا يتم حجنا حتى نأتي مكان الكعبة فنمك فيه أي نصفر صفر المكاء (زنة الرمان) حول الكعبة ، وكانوا يصفرون ويصفقون بأيديهم اذا طافوا بها . والمكاء بتشديد الكاف (وضم الميم) : طائر يأوي الرياض» .

«وقال ابو بكر الانباري : سميت مكة لانها تمك الجبارين أي تذهب بنخوتهم» !

«وقال آخرون (لا ندري من هم) : سميت مكة لانها لا تفجر بها أحد إلا بكّت عنقه فكان يصيح وقد التوت عنقه» !

«وقال قوم : سميت مكة لانها بين جبلين مرتفعين عليها وهي في هبطة بمنزلة المكوك» !

«ويقال : انها سميت مكة لازدحام الناس بها من قولهم قد امتك الفصيل ضرع امه اذا مصه مصاً شديداً» !

وبلاحظ احدهم (لا يذكر الحموي من هو) انه لا مشابهة بين مص الفصيل ضرع امه وازدحام الناس ، فيحاول ابضاح الامر فييدي أنهما قولان : احدهما انها «سميت مكة لازدحام الناس فيها» أي من معنى البك ، بالباء... والثاني «لان مكة عبّدت الناس فيها فيأتون من جميع الاطراف من قولهم امتك الفصيل أخلاق الناقة اذا جذب ما فيها جذباً شديداً فلم يُبق فيها شيئاً . وهذا قول اهل اللغة» ! فهذا يترجم المص الى الجذب والجذب الى قدوم الناس (أي انجذابهم) الى مكة من جميع الاطراف .

هنا يتزل الحموي بنفسه الى الميدان ليبدلي بحل من لديه جذري للمشكلة فيقول : «قال عبيد الله الفقير اليه : وجدنا أنها سميت مكة من مك الثدي أي مصه لقلّة مائها لانهم كانوا يتمكنون الماء اي يستخرجونه . وقيل انها تمك الذنوب اي تذهب بها كما يمك الفصيل ضرع امه» . تخريج حسن - اي ما يخص قلة الماء - لولا إلحاحه به مك الذنوب ! والله في مفسّره شؤون ..

لا نريد الزاوية بهذه الآراء مهما بعد بعضها عن المنطق وقرب بعضها من السخف ، فانما هي محاولات من السلف للبحث على طريقتهم عن حقائق الاشياء وإمطة الحُجُب عن اسرارها .. لكننا غير قادرين أن نساوي بين غتها وسميتها في مقياس من التقدير واحد .. مع أننا سنرى انها جميعاً على خطأ .

قد رأينا فيما تقدم ان بعضهم خلط بين تسمية بكة ومكة ، وبعضهم عد بكة ومكة شيئاً واحداً من عمل الإبدال . لكن اكثرهم يقررون في مختلف المصادر ان (بكة) هي البيت او الحرم او الكعبة ، وأن (مكة) هي ما حول ذلك أو القرية أو بطن الوادي . فذلك على ما يظهر لانهم وجدوا اسم (بكة) في القرآن مرة واحدة و (مكة) مرة واحدة اخرى ، وفي الاولى يقرن اسم بكة بالبيت في الآية التي سبق لإيرادها : «إن اول بيت وضع للناس للذي ببكة» فاستنتجوا ان المقصود بها هو البيت نفسه .. وفي الثانية يقرن اسم (مكة) ببطن مكة ففي الآية : «وهو الذي كف ايديهم عنكم وكف أيديكم عنهم ببطن مكة» فاستنتجوا أن المراد بطن الوادي .

ولا اعرف لماذا لم يلاحظوا - العلماء المسلمون - وجه الشبه بين مكة ومكورابا ، مع أن بعض الصحابة والتابعين ومن تلاهم يعرفون الحبشية ، وبعضهم أحباش - مثلما لحظه المستشرقون المتأخرون .

مهما تكن الحال فان ملابسات ومقارنات لغوية

وتاريخية جعلتني أعتقد أن تسمية (مكة) قد جاءت عن طريق يختلف عن كل هذا كل الاختلاف .. مما يمكنني الآن أن أقلمه نموذجاً آخر - بالإضافة الى ما سبق أن قلمت من نماذج في مختلف المناسبات اللغوية - من نشوء اللغة وتكونها من الرسم البدائي وتنقله في مراحل التطور المتدرج في تحريف الالفاظ وتحوير المعاني الى ان صار يطلق على أقدم موضع عند مئات الملايين من بني الانسان .

هل لدى الاعزاء القراء مانع من ان نتحدث قليلا في تسمية بغداد؟ نؤكد لهم ، وسيرون مصداق تأكيدنا، أن هذا الانتقال لن يكون خروجاً عن صدد عنسوان موضوعنا الذي نعترف أنه «مكة وحمورابي» .

كان المعتقد - سطحياً - عند بعضهم ان التسمية فارسية من (باغ) : حديقة و (داد) : عطاء أو تأسيس ، فيكون معنى (بغداد) شيئاً من معنى الحديقة او الجنة .

ثم التفت من هم اعلم بالفارسية من اولئك الى أن (بغ) بالفارسية : اسم إله قديم ، فصار معنى اسم بغداد عندهم : «مؤسساها الله» ، وفسره آخرون بأنه يعني «الله حبيبي» .

أياً كان الصواب فقد جاء الاكتشاف الثالث ليظهر أن أصل الاله (بغ) الفارسي هو الاله بكة (BAGA) البابلي . وأكثر من هذا أنهم عثروا على اسم بغداد في أكتائب مسمارية معاصرة لحمورابي ، أي في القرن الثامن عشر (ق م) .

ثم تطور اسم بغداد في العربية فصار ينطق كذلك : بغذاذ ، وبغدان ، ومغدان ...

ها قد وصلنا الى قمة المشكلة .

فما أثل اسم الاله (بكة) ؟ بل ما رسته .. يا ترى ؟

بيج بيج بيج بيج بيج ...

هذا الصوت لابد انكم تعرفونه . اين سمعتموه ؟ نعم ، خرزتم ! إنه مطلع اغنية محمد فوزي :

مامه .. زمانها كايه كايه لعب وحاكات !

صوت رجل يحاول إسكات طفل ييكي . وهو ليس محاكاة لبعض الاصوات الطبيعية او الصناعية التي تألف منها معظم ألفاظ المعجم من قبيل : صبح .. هو .. قط .. مص .. شم ...

وانما هو واحد من الاصوات التي تقترح تسميتها «مرجلة» أي يتفوه بها المرء في بعض حالات له شعورية أو انفعالية كيفما اتفق ، اي بحسب ما يتبادر إلى جهاز أعضائه النطقية مثل قوله : بس بس لدعاء الحيوان أو زجره (1) . وقد اتفق لاحدهم أو إحداهن ، في غابة معربية ، أن قال أو قالت لطفل ييكي : بيج بيج بيج ، لإسكاته ، فذهبت مثلاً ، وتناقلتها غابات وأجيال .

لعلكم تحسبون أنني أشتط في التخريج إذ أعزو هذه اللفظة العامة الى ذلك الأصل الهمجي البدائي العريق . فمعتذرة . إني لم أخبركم بعد أنها كلمة فصيحة . تقول المعاجم - بعضها - بجبجت الصبي : لابعته وسكته بالمغاغة والغناء ! وهذا معنى متطور طبعاً ، فأصل البجيجة من غير ريب هو أن يقال للصبي بيج بيج بيج .. على طريقة محمد فوزي ، ثم ظهرت المغاغة والغناء فيما بعد . لكن بعض المعجميين القدامى الذين لم تكن الدراسات اللغوية قد اكتملت في زمانهم لم يكونوا يعرفون هذا المعنى (ولا ننس ان الكثيرين منهم لم يكونوا من العرب الاقحاح او كانوا من العرب المحليين الذين يجهلون الكثير مما ليس من لغة قبيلتهم أو بلدهم) . فابن منظور - صاحب «لسان العرب» - يقول : «البجيجة

1 - تطرقنا الى صوت «بس بس» وما تفرع منه من بعض المعاني في مناسبة لغوية اخرى .

شيء يفعله الانسان عند مناغة الصبي بالقلم ! وعنه قل صاحب القاموس - الفيروزابادي - لكنه لم يفهم معنى «بالقلم» - مثلي - فحذفها ، ثم اختصر تعبير «يفعله الانسان» .. فقال : «شيء يفعل عند مناغة الصبي» ! ولكان أمثل بواضعي معجمين خطيرين ان يُغفلا ذكر البجبة من أن يشرحاها على هذا النحو الزري الذي هو أحوج منها الى الشرح . ولئن كان محمد فوزي أعلم من هذين الجهلذين بذلك الشيء الذي «يفعل» عند إسكات (أصبح من مناغة) الصبي .. فهو لم يكن يقدر أن للأمر كل هذه الخطورة العلمية - الي سنرى .

من البجبة نشأ قولهم (بخ بخ) .. «تقال عند تعظيم الانسان، وعند التعجب من الشيء، وعند المدح، والرضا عن الشيء» - (اللسان) .

من حُكَم الآن ، بل من الحق عليكم أن تسألونا كيف ندعي أن (البخبة) قد نشأت من (البجبة) وبينهما هذا البون في اللفظ والمعنى ؟

اما من ناحية اللفظ فان هذه العربية حافلة بكلمات تنطق على وجهين او اكثر ، فيا طالما ابدلوا الحروف بعضها ببعض ، حتى الحروف المتباعدة في السامع ومخارج النطق . ومن امثلة إبدالهم الخاء من الجيم بالذات أن الجاية تنطق الخاية أيضاً .. وأزلخت الباب : أزليته .. والزمجرة هي الزمجرة .. بل ان المجنون المسكين سموه كذلك المخنون ! .. ويجدر بالذكر في هذا المقام أن إبدال الجيم خاءاً قاعدة شبه عامة في الاسبانية مثل خوزيه (= جوزيف) .. وخوان (= جوان) ...

ليس مستغرباً إذن أن نطقوا البجبة : ببخبة .

واما من ناحية المعنى فقد كان أصل معنى البخ هو : سكون الغضب . يقول المعجم : بخ فلان : سكن من غضبه ، او اعجب بنفسه . فواضح أن هذا أصله سكون الصبي من بكائه . ذلك بان الطفل حين يسكت من العويل

سرعان ما يرضى فيضحك ويلعب والدموع ما تزال تملأ عينيه وقبلي وجهه ، وقد رضي عن العالم، كأن لم يكن شيء . فمن هنا صارت (بخ بخ) تعني «سكون المرء من غضبه» و «الرضا عن الشيء» كما تقدم بنا من النص المعجمي . ومن نتائج رضاك عن الشيء أن تملحه ، فصارت البخبة تعني المدح أيضاً ، ثم التعجب ، ثم الاعجاب بالنفس ، ثم تعظيم الانسان .. وكل ذلك اورده (اللسان) ، آتفاً ، سوى رقبته هنا منطقياً حسب تسلسله في النشوء .

جاء في المعجم كذلك ان بخ : كلمة فخر ، وبخ بخ : تعظيم الامر وتقديره . نطقوها : بخ بخ (بفتح فسكون) . وبخ بخ (بالتخفيف والكسر مع التنوين) ، وبخ بخ (مثلها مع التشديد) .

ثم نطقوها بالهاء كذلك : به به ، بنفس حالات التخفيف والتشديد ، وبنفس المعنى . ومن هذه المادة الهائية نشأ (الهاء) في الفصحى و (الباهي) بمعنى الجيد والفاخر في بعض الدارجات (من : بها يهو ، وبهي يهي ، بهاء : حسن وظرف) . ومن هنا نشأ في الفصحى البهر والباهر ، ومنه زهر (البهار) الذي دخل الفارسية بدون اداة تعريف (بهار) : ربيع .. وعلى العكس من ذلك في العربية صارت لفظة (الربيع) تعني : الكلاء والخضر .

ومنها به فلان بهأ (زقة شد شداً) : نبأ وزاد في جاهه ومزله عند السلطان .

ثم صار (البخ) يعني : «الرجل السري» اي الشريف الرفيع القدر في المجتمع ، وليس بخاف ان السراوة كانت تعني عند العرب ما يشبه معنى الارستقراطية بالتعبير الحديث .

في لغة القرعيز وما شاكلها من بعض لغات تلك المناطق نثر على البخ بصيغة (بك : bag) لقبا يدل

الآخرون بمعونته ملوكاء .

هكذا تنتقل الكلمة من البجبة الى البخ ، الى اليك ، الى الباشا .. الى الشاهنشاه : ملك الملوك ، ثم رب الارباب .
نتحول الآن الى (البعل) وهو بالعربية معجميا : رب الشيء ومالكة أو مستحقه أو صاحبه . فاذا كان كل من الرب (اي صاحب الشيء) والبعل والشاهنشاه قد أصبح يعني الإلاه فمن اليسير أن ندرك كيف صار (بگه) المتطور من (البخ) بكل معانيه الفخمة تلك ، يعني الإلاه أيضا .

أعترف بانني لا اعرف الكثير عن هذا الإلاه السامي الخطير (بگه) ، لكنني اجد اسمه بصيغة (بك bak) في (بعليك) : البلدة اللبنانية المعروفة . يقول ياقوت «بعليك : اسم مركب من بعل : اسم صنم ، وبسك : أصله من بك عنقه أي دقها ، وتباك القوم اي ازدحموا . فإما أن يكون نُسب الصنم الى بك وهو اسم رجل أو جعلوه بك الاعناق . هذا ان كان عريباً ، وان كان أعجمياً فلا اشتقاق». العبارة الاخيرة تنبئ انهم يقولون ذلك تخريباً من لفظتي بعل وبك ، لا عن علم سابق بأن الكلمة اسم رجل أو غير ذلك .

بعد ان راينا اسم الإلاه بعل قد ظهر في الشق الاول من اسم (بعليك) واسم الإلاه البابلي (بكه) يؤلف الشق الثاني منه يبدو طبيعياً جداً ان نجد هذا الأخير اسماً للبلدة العربية المقدسة (بكة) .

والغريب ان قدامى اللغويين قد ربطوا عن طريق الخطأ بين التسميتين ، دون أن يدروا . لا لوم عليهم ان يجهلوا أن (بك) إلاه مثل (بعل) لكننا نسجل عليهم استقرباً صغيراً من تعليلهم تسمية كل من بعليك وبكة بازدحام الناس ودق الاعناق . ثم لا يلحظون — فيما اطلعنا عليه من مصادر — هذا الشبه الصريح بين التسميتين

على النبل والتشريف ، يطلقونه على رئيس القبيلة أو أمير البلد . وقد ظهر اللقب في التركية على العهد العثماني ومنها تسرب الى الاقطار العربية بصيغة (بك bag) و(بيك beg) و (به beh) . ثم باي تونس أي سلطانها . وقد انغمى اللقب رسمياً في تركية منذ إلغاء الخلافة ، ثم في الاقطار العربية واحداً بعد واحد .

وربما كان من (البخ) أيضاً لقب (باشا pasha) الذي صار اعلى من لقب (البيك) بل أعلى الالقب الرسمية لدى الدولة العثمانية يلقب به الصدر الاعظم (رئيس الوزراء) وغيره من رجالات الدولة وكبار قادة الجيش . ومن تركية انتقل اللقب الى الاقطار العربية ثم كان من شأنه في الإلغاء ما كان من شأن (البيك)

يظنون أن أثل الباشا هو (بادشاه) في الفارسية ، لكننا نحسب عكس ذلك أي أن (بادشاه) هو المشتق من (باشا).

يقول المعجم الفارسي «بادشاه : من باد : حارس وشاه : أصل ورب ورئيس» (1) . والكلمة ما زالت تعني بالفارسية : الملك عامة ، عدا ملك ايران فهو يسمى (شاه) . ونظن شاه هذه من (باد شاه) نفسها .

ويقول (برهان قاطع) : «شاه : الاصل والرب . ولما كان الملوك بالنسبة الى الناس هم الاصل والرب سموا شاه» ومن معاني الرياسة في (شاه) اطلقوا في اجيال خلت (شاهبندر) التجار على رئيس التجار ، بمثابة ما يسمى الآن رئيس غرفة التجارة في التنظيم المعاصر .

بعد الشاه ظهر في الفارسية تعبير (شاهان شاه) ومعناه اللفظي : ملك الملوك ، استعملوه بمعنى الامبراطور . ثم صار ينطق مخففاً (شاهنشاه) الذي صار يعني «الباري تعالى» كما يقول ابن خلف تبريزي «أو الذي يصبح

1 — ابن خلف تبريزي — «برهان قاطع» — تأليف عام 1062 هـ .

الخاططين . فلا هم اهتموا الى الصواب ولا هم ادركوا الصلة بين الخطأين .

كيف نطقوا اسم (بكّة) أول الامر ، لاندرى . لكن الاسم المعروف ينطق بالكاف العربي المشيع كما في اسم (بعلك) - لا بالكاف المخفف كما في اسم (بكه) (Baga) البابلي .

بل لعل هذا النطق العربي (بك) هو الاثل المتطور من (البخ) ، فاني لا حسب انهم أطلقوه أولاً على هذا المعبد في مكة - الكعبة . ولا نعلم هل قبل ذلك أم بعده ظهر الاسم في ديار الشام عند الكنعانية حيث أضافوه الى إله آخر في اسم (بعلك) تأكيداً لصفة اللوهمية أو بمعنى مقدس آخر .

والذي تُخَمِّنُهُ ان اسم (بك) الذي كان يدل على الكعبة ، قد عم مع الزمن فصار يطلق على (القرية) المحيطة به . ولما كانت اسماء المدن مؤنثة في العربية فقد أُثِّثَ بعضهم (بك) فصار (بكّة) ، وشاعت هذه الصيغة واستقرت ونُسبت صيغة المذكر الاولى .

وكما ارتحلت صيغة (بك) الى ديار الشام لتظهر في (بعلك) طعنت صيغة (بكّة) الى الرافدانية (أرض الرافدين) لتظهر في البابلية بصيغة (بگه) (Baga) . وهذا هو التعليل الوحيد الذي يخطر على بالنا : لظهور الهاء أو الفتحة على آخر الصيغة البابلية .

لا نرى مناصاً من إعادة هذه الآية مرة اخرى ، وبتمامها : «إن أول بيت وضع للناس كلّذي ببكة» ، مباركاً ، وهدى للعالمين» . فهل كان عرب الجاهلية يقولون بأنه أول بيت ام ان القرآن هو الذي يقرر ذلك لأول مرة ؟ لئن كان العرب يعرفون ان الذي ببكة هو أول بيت مقدس وضع في ذلك البلد - مما كانوا يتوازنونه في تاريخهم كغيره من بعض منقولات اخرى أيدها القرآن فلمعري لقد صدقت مأثوراتهم . وان كان القرآن

قد قرره لأول مرة فلا جدال ولا تعقيب .

بعد أن اكتشفنا الصلة بين مكة والاله الكنعاني (بك) في بعلك من جهة ، والاله البابلي (بكه) في بغداد من جهة ثانية ، نرجع الى سؤالنا الذي ألقيناه على أنفسنا في طلائع هذا الحديث : ما منشأ كلمة (مكورابا) الحبشية إذن ؟

بعد حين من الدهر لم يكن في ذاكرة التاريخ شيئاً مذكوراً نطقوا بكّة بالميم (مكة) . ومثل هذا كثير الحدوث في العربية نكتني من نماذجه بما تقدم بنا من تسمية بغداد : (بغدان ومغدان) .

ولا بد أن الاسم الجديد (مكة) قد انحدر جنوباً الى اليمن . والارجح انهم استعملوه كما هو أول الامر ، ثم حوروا لفظه بنفس معناه ، ثم بمعان أخرى . ومن ذلك تكونت صيغة (مكورابا) . أي أن الكلمة إنما ارتحلت الى الحبشة عن الطريق الجغرافي الطبيعي - اليمن .

لكن كيف أصبحت مكة تنطق (مكورابا) ؟ وهل تم ذلك في الحبشة أم في اليمن قبل ذلك ؟ الافضل أن ندعو أختانا القاريء إلى إعمال فكره معنا في هذه الجولة الاستكشافية .

أن يأذن لنا قبل كل شيء أن نسأله هل لاحظ العلاقة اللفظية بين اسم مكورابا وحمورابي ؟ وهل هذا التماثل الظاهري دلالة معنوية أم هو مجرد تشابه لفظي ، سانح ؟ لا ندعي أن أحد الإسمين مستعار من الآخر ، لكننا نزعّم مبدئياً أن الشطر الثاني من الاسمين ربما يعني شيئاً واحداً ، إن لم يكن الشطر الاول منهما كذلك .

حمورابي يتألف من (حمو : الحمو ، رب الاسرة رابي : الكبير ، الجليل) . أما مكورابا فيقولون أنه يعني المعبد وحنسب . لكننا نتوهم أنه هو أيضاً (= مكو : مكة ، المعبد + رابا : الكبير ، الجليل) .

و هناك من يفسر اسم حمورابي بأنه (حمو : حارس

حام + رايي : آلهة) أي حامى الآلهة . أي أن الامر يتوقف على معنى (رايى) وأصلها العربي بالدرجة الاولى هل هو من (الرب) الاله أم من (الرايى) المرتفع السامى .

ونحن وإن كنا نرجح التفسير الاول ، لانرى هذا التفسير الثانى بمستطيع أن يفصم الصلة بين (حمورايى) و (مكورابا) ، فهذا الاخير أيضاً يمكن أن يكون (مكو : مكة ، معبد + رابا : آلهة ، أو إله) ، أي معبد الاله أو الآلهة .

وإن الأسئلة تنهمر علينا في كل خطوة . و السؤال الذي يطل برأسه هنا هو : ألا توجد صلة حقاً بين كلمتي (حمو) و (مكو) ؟

لا نستبعد وجود الصلة . فان أصل معنى (مكو) هو الاله أي (بك) كما نعلم . ولعله صار يعنى الاله الحامى ولا سيما أن كل انسان كان يتخذ لنفسه حامياً من أحد الآلهة فان صح هذا قد يصح أيضاً أن (حمو) صارت تطلق على أبى الاسرة باعتباره حامياً المسؤول عنها ، ثم على أبى الزوج لانهم كانوا يتزوجون في بيت أبيهم الذي يبقى محتفظاً بالسلطة الابوية . وكما صعد رب البيت فصار يعنى (الرب) الإله أيضاً هبط الاله الحامى فصار حامى الاسرة ، أي حماها ، أبا الزوج ، ثم شمل أبا الزوجة ، تعميماً . ومن ثم (الحماية) قد ظهرت في العربية عن هذا السبيل . وعندئذ يكون من السهل أن نتصور انتقال (حمو) بمعنى الحامى أو الحمى أو الرب إلى لغة العموريين ، قوم حمورايى . فعلى هذا يكون اسم بكة أقدم كثيراً من حمورايى .

سؤال آخر . لماذا قلنا أننا نرجح التفسير الاول لاسم حمورايى ، أي (الحمو الكبير) ؟

جواب آخر . لانه يساعدنا على تفسير إضافة (رابا) بمعنى الكبير الى (مكو) . وبعبارة أصح لان منطق الاحداث في التاريخ يلمح تلميحاً يكاد يكون تصريحاً ،

الى ذلك .. حتى لو كان اسم حمورايى يعنى أي شيء آخر . معلوم أن (أبرهة) شيد معبداً فخماً في اليمن ينافس به الكعبة ، وحاول جهده ان يصرف العرب اليه عن مكة ، فلم يفلح ، في حكاية مشهورة .

أكبر الظن عندنا ان هذه لم تكن المرة الاولى ، بل الاخيرة . لو قد أفلحت المحاولة لكان في ذلك نقماً وأي نفع تجاري كبير لليمن ، بالإضافة الى الشرف الدينى . لابد أن تحويل الاسواق الموسمية والاتجاه الروحي الى اليمن لم يكن من هم أبرهة وحده ، فالمعقول ان يكون حكام اليمن — من اهل الحبشة او اليمن نفسها — قد حاولوا منذ عهود بعيدة نفس المحاولة بانشاء كعبة ، أي مكة ، اكبر من مكة وسموها باسم اكبر من اسمها ايضاً اي مكة الكبرى مثلاً (مكورابا) ! هذا احتمال على كل حال ، إن صح كان فيه تفسير التسمية ، وكان دليلاً على أن (مكة) قد صارت (مكورابا) في اليمن ومنها هاجرت الى الحبشة ، لا العكس ، وعلى أنها صارت تعني المعبد وحسب بعد مر الاجيال .

ويقول اللغويون العرب ان (المحراب) بالعربية مقتبس من الحبشية والاعلم انهم يقصدون من (مكورابا) . لا اعتراض لدينا على ذلك . لكن لدينا سؤال : هل من مكورابا الحبشية أم اليمنية ؟

الامر الطبعي ان يكون (المحراب) استعمل بمعنى ديني أول الأمر . وقد تخصص في الإسلام بالمكان الذي يقف الإمام حياله في الصلاة ليسجد فيه ويكون المنبر في مساجد الجمعة عن يمينه .

اما لغوياً فالمحراب : اكرم موضع في البيت أو المنجد . فهذا يشير إلى أنهم كغيرهم من الأمم كانوا يتخذون في دورهم مكاناً للعبادة يقيمون فيه الاصنام او الصوور يتعبدون لها ، وبكلمة موجزة ان المحراب كان يعني : معبد البيت ، ثم انتقل الى المسجد .

ومن معانيه اللغوية كذلك : الغرفة ، والغرفة العالية يُرتقى إليها ، وصدر المجلس ، واكرم مجالس الملوك اي مجلس الملك ينفرد به عن جلسائه ، وما الى ذلك . ومنه «محارِب غمْدان باليمن» ، يقصدون قصر غمدان . فمحارِب غمْدان هذي ، وقول ابي العلاء انه دخل محراباً من محارِب حمير فنفتح في وجهه ريح المسك - يجعلنا نرى من المحتمل أن تكون كلمة المحراب أيضاً قد نشأت في اليمن .

ومن تطورات معاني المحراب وتقلباتها صار يعني مأوى الاسد ! هنا يقدم لنا فن التأويل نموذجاً من طرائف تخطيط اللغويين ، هو قول اللسان : «وقيل سمي المحراب محراباً لان الإمام اذا قام فيه لم يأمن ان يلحن ويخطيء فهو خائف مكاناً كأنه مأوى الاسد» ! .. والله في مفسّره شؤون .. وشجون .

على ما تقدم نستطيع ترسيخ كلمة المحراب ، أي ارجاعها الى رستها البدئي على تسلسل يستعرض المراحل

التي اجتازتها ، والصيغ التي قمصتها واحدة بعد واحدة ، فيما يشبه تناسخ الارواح .. على هذه الوثيرة :

بيج بيج : لاسكات الطفل - البَيْخ : سكوت الغضب - بيخ بيخ : تعبير عن الرضا ، فالاستحسان ، فالمدح ، فالفخر ، فالتعظيم والتفخيم ، فالجاء والخطوة عند السلطان - به به : مثل بيخ بيخ - البيخ : الرجل السريّ - البكّ والبكي : من ألقاب السراوة والرفعة - بكّ : إله كنعاني - بكّة : الكعبة - مكة : البلدة المحيطة بها - بكّه (бага) : إله بابلي به سميت بغداد - مكورابا : المعبد بالحشية ، والاغلب أن الصيغة تكونت بمعنى مكة الكبرى في الحميمية - المحراب : المعبد ، ثم المعبد الخصوصي في البيت ، ثم اكرم غرفة أو مكان في الدار ، ثم مجلس الملك الذي ينفرد فيه عن جلسائه ، والظاهر أنهم يقصدون به سرير الملك .

أقدس موضع عند المسلمين أي (مكة) قد سمي اذن بأقدس كلمة عندهم أي اسم الله .